

عجائب الآثار ج: 2 ص: 179

سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وهي اول سني الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الامور وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الاهوال واختلاف احوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الاسباب وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون في يوم الاحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الاسكندرية ومضمونها ان في يوم الخميس ثامن من الشهر حضر الى الثغر عشرة مراكب من مراكب الانكليز ووقفت على البعد بحيث يراها اهل الثغر وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا ايضا فانتظر اهل الثغر ما يريدون وإذا بقارب صغير واصل من عندهم وفيه عشرة انفار فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد والرئيس إذ ذاك فيها والمشار اليه بالابرام والنقض السيد محمد كريم الآتي ذكره فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا انهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيين لانهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندري أين قصدهم فرموا دهموكم فلا تقدرن على دفعهم ولا تتمكنوا من منعهم فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول وظن انها مكيدة وجاوبوهم بكلام خشن فقالت رسل الانكليز نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر لا نحتاج منكم الا الامداد بالماء والزاد بثمنه فلم يجيبوهم لذلك

عجائب الآثار ج: 2 ص: 180

وقالوا هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فذهبوا عنا فعندها عادت رسل الانكليز واقبلوا في البحر ليتمتاروا من غير الاسكندرية وليقضى الله امرا كان مفعولا ثم ان اهل الثغر ارسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العريان ويأتي معهم للمحافظة بالثغر فلما قرئت المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس وتحدثوا بذلك فيما بينهم وكثرت المقالات والاراجيف ثم ورد في ثالث يوم بعد ورود المكاتبات الاولى مكاتبات مضمونها ان المراكب التي وردت الثغر عادت راجعة فاطمان الناس وسكن القيل والقال واما الامراء فلم يهتموا بشيء من ذلك ولم يكثرثوا به اعتمادا على قوتهم وزعمهم انه اذا جاءت جميع الافرنج لا يقفون في مقابلتهم وانهم يدوسونهم بخيولهم فلما كان يوم الاربعاء العشرون من الشهر المذكور وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمهور بان في يوم الاثنين ثامن عشره وردت مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة فارسوا في البحر وارسلوا جماعة يطلبون القنصل وبعض اهل البلد فلما نزلوا اليهم عوقوهم عندهم فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمي وطلعوا الى البر ومعهم آلات الحرب والعساكر فلم يشعر اهل الثغر وقت الصباح الا وهم كالجراد المنتشر حول البلد فعندها خرج اهل الثغر وما انظم اليهم من العريان المجتمعة وكاشف البحيرة فلم يستطيعوا مدافعتهم ولا امكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم وانهم الكاشف ومن معه من العريان ورجع اهل الثغر الى التترس في البيوت والحيطان ودخلت الافرنج البلد وانبت فيها الكثير من ذلك العدد كل ذلك واهل البلد لهم بالرمي يدافعون عن انفسهم وأهلهم يقاتلون ويمنعون فلما أعياهم الحال وعلموا انهم مأخوذون بكل حال وليس ثم عندهم للقتال استعداد لخلو الابراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته طلب اهل الثغر الامان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال

عجائب الآثار ج: 2 ص: 182

ان الافرنج لا يقدرن على محاربتهم في البر وانهم يعبرون في المراكب ويقاتلونهم وهم في المراكب وانهم يصابرونهم ويطاولونهم في القتال حتى تأتيهم النجدة وكان الامر بخلاف ذلك فان الفرنسيين عندما ملكوا الاسكندرية ساروا على طريق البر الغربي من غير ممانع وفي اثناء خروج مراد بك والحركة بدت الوحشة في الاسواق وكثر الهرج بين الناس والارجاج وانقطعت الطرق واخذت الحرامية في كل ليلة تطرق اطراف البلد وانقطع مشي الناس من المرور في الطرق والاسواق من المغرب فنأدى الاغا والوالي بفتح الاسواق والقهاوي ليلا وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين وذلك لامرين الاول ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس والثاني الخوف من الدخيل في البلد

وفي يوم الاثنين وردت الاخبار بان الفرنسيين وصلوا الى دمنهور ورشيد وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم فذهبوا الى قوة نواحيها والبعض طلب الامان وأقام ببلده وهم العقلاء

وقد كانت الفرنسيين حين فلولهم بالاسكندرية كتبوا مرسوما وطبعوه وأرسلوا منه نسخا الى البلاد التي يقدمون عليها تطمينا لهم ووصل هذا المكتوب مع جملة من الاسارى الذين وجدوهم بمالطة وحضروا صحبتهم وحضر منهم جملة الى بولاك وذلك قبل وصول الفرنسيين بيوم او بيومين ومعهم منه عدة نسخ منهم مغاربة وفيهم جواسيس وهم على شكلهم من كفار مالطه ويعرفون باللغات وصورة ذلك المكتوب بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه

من طرف الفرنسيين المبنى على أساس الحرية والتسوية
السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنسيين بونابارته يعرف أهالي مصر جميعهم ان من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنسية ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدي فحضر الان ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الابازة والجراكسة يفسدون

عجائب الآثار ج: 2 ص: 183

في الاقليم الحسن الاحسن الذي لا يوجد في كرة الارض كلها فاما رب العالمين القادر على كل شيء فانه قد حكم على انقضاء دولتهم يا أيها المصريون قد قيل لكم انني ما نزلت بهذا الطرق الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفتريين انني ما قدمت اليكم الا لخلص حقكم من يد الظالمين وانني اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقران العظيم وقولوا ايضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا ان يملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان والخيال العتاق والمسكن المفرحة فان كانت الارض المصرية التزاما للماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالى من الان فصاعدا لا يياس احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها وسابقا كان في الاراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك

أبها المشايخ والقضاة والائمة والجرجية واعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنسيين هم ايضا مسلمون مخلصون واثبات ذلك انهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي الباب الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطرودا منها الكوا للرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين

ومع ذلك الفرنسيين في كل وقت من الاوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء اعدائه ادم الله ملكه ومع ذلك أن المماليك امتنعوا من اطاعة السلطان غير ممثلين لامره فما أطاعوا أصلا الا لطمع انفسهم طوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح

عجائب الآثار ج: 2 ص: 184

حلهم وتعلو مراتبهم طوبى ايضا للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لاحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالاكثر تسارعوا الينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر

المادة الاولى جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها عسكر الفرنسيين فواجب عليها ان ترسل للعسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا علم الفرنسيين الذي هو ابيض وكحلي واحمر المادة الثانية كل قرية تقوم على العسكر الفرنسيين تحرق بالنار

المادة الثالثة كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي ايضا تنصب صنجاك السلطان العثماني
محبا دام بفاؤه
المادة الرابعة المشايخ في كل بلد يختمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك التي تتبع
الممالك وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها
المادة الخامسة الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة الائمة انهم يلازمون وطاقفهم
وعلى كل احد من اهالي البلدان ان يبقى في مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة
في الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم ينبغي ان يشكروا الله سبحانه وتعالى
لانقضاء دولة الممالك قائلين بصوت عالي ادام الله اجلال السلطان العسكر الفرنساوي
لعن الله الممالك وأصلح حال الامة المصرية
تحريرا بمعسكر اسكندرية في 13 شهر سيدور سنة 1213 من اقامه الجمهور الفرنساوي
يعني في آخر شهر محرم سنة هجرية اه بحروفه
وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر وردت الاخبار بان الفرنسيين وصلوا الى
نواحي فوة ثم الى الرحمانية واستهل شهر صفر سنة 1213 وفي يوم الاحد غرة شهر
صفر وردت الاخبار بان في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم التقى العسكر

عجائب الآثار ج: 2 ص: 291

وفيه كتبوا أوراقا وطبعوها والصقوها بالاسواق وذلك بعد ان رجعوا من الشام واستقروا
وهي من ترصيف وتمييق بعض الفصحاء وصورتها من محفل الديوان الخصوصي
بمحروسة مصر خطاها لاقليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة
والبحيرة النصيحة من الايمان قال تعالى في محكم القرآن ولا تتبعوا خطوات الشيطان
وقال تعالى وهو اصدق القائلين في الكتاب المكنون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين
يفسدون في الارض ولا يصلحون فعلى العاقل يتدبر في الامور قبل ان يقع في المحذور
نخبركم معاشر

عجائب الآثار ج: 2 ص: 292

المؤمنين انكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وقد حضر الى
محروسة مصر المحمية امير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية
ونزل بعسكره في العادلية سليما من العطب والاسقام ودخل الى مصر من باب النصر
يوم الجمعة في موكب عظيم وشنك جليل فخيم وصحبه العلماء والوجاقات السلطانية
وأرباب الاقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية وكان يوما عظيما مشهودا وخرجت اهل
مصر لملاقاته فوجدوه وهو الامير الاول بذاته وصفاته وظهر لهم ان الناس يكذبون عليه
شرح الله صدره للاسلام والذي أشاع عنه الاخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة
ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية وتدمير اهل الملة الاسلامية وتعطيل الاموال
الديوانية لا يحبون راحة العبيد وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم ان بطش ربك
لشديد وقد بلغنا ان الالفى توجه الى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى
والعبادة الفجرة المفسدين يسعون في الارض بالفساد وبنهبون أموال المسلمين ان
ربك لبالمرصاد ويزورون على الفلاحين المكاتب الكاذبة ويدعون ان عساكر السلطان
حاضرة والحال انها ليست بحاضرة فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الأثر وانما مرادهم
وقوع الناس في الهلاك والضرر مثل ما كان يفعل ابراهيم بك في غزة حيث كان ويرسل
فرمانات بالكذب والبهتان ويدعى انها من طرف السلطان ويصدقها أهل الارياف خسفاء
العقول ولا يقرأون العواقب فيقعون في المصائب وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم
خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم فان المجرم يؤخذ مع الجيران وقد غضب الله
على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان فكان اهل الصعيد احسن عقلا من اهل بحرى
بسبب هذا الرأي السديد ونخبركم ان احمد باشا الجزائر سموه بهذا الاسم لكثرة قتله
الانفس ولا يفرق بين الاخبار والاشرار وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز
والعرب واسافل العشيرة وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها واحبوا اجتماعهم
عليه لاجل اخذ اموالها

عجائب الآثار ج: 2 ص: 293

وهتك حريمها ولكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار وقد كان ارسل بعض
هذه العساكر الى قلعة العريش ومراده ان يصل الى قطيا فتوجه حضرة سارى عسكر
امير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزائر الذين كانوا في العريش ونادوا الفرار

الفرار بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلاثة آلاف وملك قلعة العريش واخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ولما دخل غزة نادى في رعيته بالامان وامر باقامة الشعائر الاسلامية واكرام العلماء والتجار والاعيان ثم انتقل الى الرملة واخذ ما فيها من بقسماط وارز وشعير وقرب اكثر من الفتي قرية كبار كان قد جهزها الجزار لذهابه الى مصر ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة ايام ثم اخذها واخذ ما فيها من ذخائر الجزار بالتمام ومن نحوسات اهلها انهم لم يرضوا بامانة ولم يدخلوا تحت طاعته واحسانه فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه وقتل منهم نحو اربعة آلاف او يزيدون بعدما هدم سورها واكرم من كان بها من اهل مصر واطعمهم وكساهم وجهزهم في المراكب الى مصر وغفرهم بعسكره خوفا عليهم من العربان واجزل عطاياهم وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا وبعضهم ما نجاه الا الفرار ثم توجه من يافا الى جبل نابلس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدر كان ثم اخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التي كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر حتى انه يقال كان هناك مدينة وقد كان بني حصارها وشيد بانيانها في نحو عشرين من السنين وظلم في بانيانها عباد الله وهكذا عاقبة بانيان الظالمين ولما توجه اليه اهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة فهل ترى لهم من باقية نزل عليهم كصاعقة من السماء ثم توجه راجعا الى مصر المحروسة لاجل شئين الاول انه وعدنا برجوعه الينا بعد اربعة أشهر والوعد عند الحردين والسبب الثاني انه بلغه ان بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون

عجائب الآثار ج: 2 ص: 294

في غيابه الفتن والشور في بعض الاقاليم والبلدان فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الاشرار والفجرة من الرعية وحيه لمصر واقليمها شيء عجيب ورغبته في الخير لاهلها ونيلها بفكره وتدييره المصيب ويرغب ان يجعل فيها احسن التحف والصناعة ولما حضر من الشام احضر معه جملة من الاسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتتمها في الحروب من الاعداء والاصنام فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخير لمن والاه فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامثلوا لاحكام الله ولا تسعوا في سفك دمائكم وهتك عيالكم ولا تتسبوا في نهب اموالكم ولا تسمعوا كلام الغز الهربانيين الكاذبين ولا تقولوا ان في الفتنة اعلاه كلمة الدين حاشا الله لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الانفس وذل أمة النبي عليه الصلاة والسلام والغز والعربان يطمعوكم وبغروكم لاجل ان يضروكم فينهبوكم واذا كانوا في بلد وقدمت عليهم الفرنسيين فروا هاربين منهم كأنهم جند ابلبيس ولما حضر سارى عسكر الى مصر اخبر اهل الديوان من خاص وعام انه يحب دين الاسلام ويعظم النبي عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم باتقان وامر باقامة شعائر المساجد الاسلامية واجراء خيرات الاوقاف السلطانية واعطى عوائد الوجاقلية وسعى في حصول اقوات الرعية فانظروا هذه اللطاف والمزية ببركة نبينا اشرف البرية وعرفنا ان مراده ان يبني لنا مسجدا عظيما بمصر لا نظير له في الاقطار وانه يدخل في دين النبي المختار عليه افضل الصلاة واتم السلام انتهى بحروفه